

المثل السائر

(الألباب) و (إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) وأشباه ذلك وهذه اللفظة الثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست بمستثقلة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافا إليها أما كونها مضافا إليها فكقولنا لا يعلم ذلك إلا ذو لب وإن في ذلك لعبرة لذى لب وعليه ورد قول جرير .

(إِنْ سَأَلَ الْعُيُونُ السَّيِّئَةِ فِي طَرَفِهَا حَوْرُ ... قَتَلَانَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتَلَانَنَا) .

(يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ ... وَهُنَّ أَضْعَافُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ أَرْكَانًا) .

وأما كونها مضافة فكقول النبي في ذكر النساء (ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من إحداهن يا معشر النساء) فإن كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الإضافة فإنها لا تأتي حسنة ولا تجد دليلا على ذلك إلا مجرد الذوق الصحيح وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روعي فيها الجمع دون الأفراد كلفظة كوب فإنها وردت في القرآن مجموعة ولم ترد مفردة وهي وإن لم تكن مستقبحة في حال أفرادها فإن الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ آخر تندرج معهن فيكسوها ذلك حسنا ليس لها وذلك كقولي في جملة أبيات أصف بها الخمر وما يجري معها من آلاتها .

(ثَلَاثَةٌ تُعْطِي الْفَرَحَ ... كَأْسٌ وَكُوبٌ وَقَدَحٌ) .

(مَا ذَبَحَ الذَّوْقُ بِهَا ... إِلَّا وَلِلْهَمِّ ذَبَحٌ) .

فلما وردت لفظة الكوب مع الكأس والقدر على هذا الأسلوب حسنها وكأنه جلاها في غير لباسها الذي كان لها إذ جاءت بمفردها .

وكذلك وردت لفظة رجا بالقصر والرجا الجانب فإنها لم تستعمل موحدة وإنما استعملت مجموعة كقوله تعالى (والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) فلما وردت هذه اللفظة مجموعة ألبسها الجمع ثوبا من الحسن لم يكن لها في حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الإضافة كقولنا رجا البئر